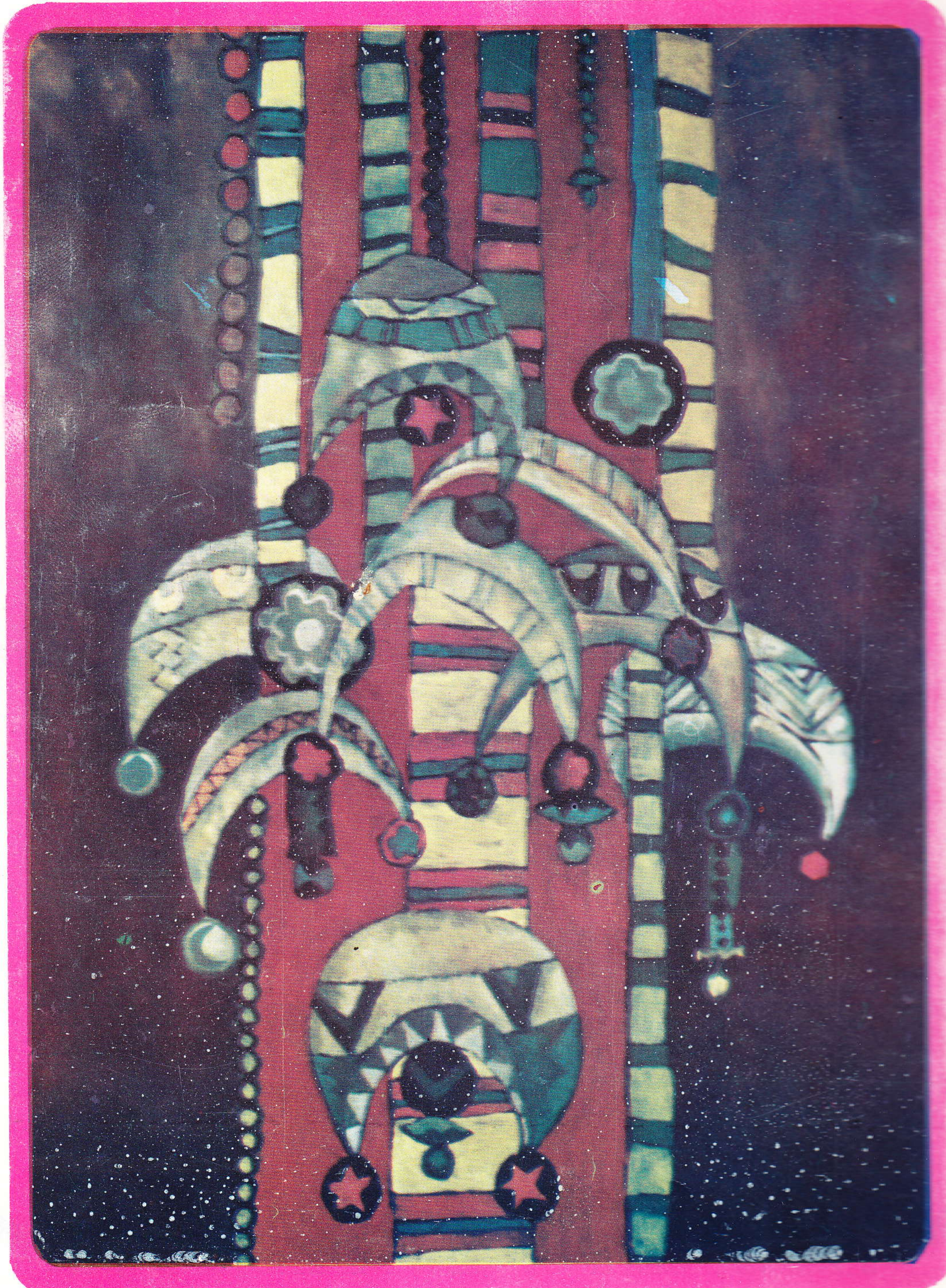
الثقافة العربية

ثقافة عربية أصيلة وفكر إنساني متفتح

العدد التاسع - السنه السادسة
والعشرون - الفاتح 1428 ميلادية
سبتمبر 1998 إفرنجي

تصدر عن الإدارة العامة للثقافة الجماهيرية باللجنة الشعبية العامة للإعلام والثقافة والتعبئة الجماهيرية



آثارنا فى المتاحف العالميّة

من آثارنا فى متحف اللوفر

الحلقة الثالثة

إعداد أ/ خالد محمد الهدار

يتناول الباحث بالدراسة بدءاً من هذه الحلقة نماذج من الآثار الليبية المعروضة فى المتاحف العالمية ، وستخصص هذه الحلقة لأول تمثال من ليبيا يعرض فى أوروبا ، وكذلك لأول نقش تعرفه أوروبا منها ، وكليهما يعرض فى متحف اللوفر .

أول تمثال من ليبيا عرفته متاحف أوروبا :

من أقدم الآثار التى جلبت من ليبيا وتحديداً من قورينائية وعرفتها أوروبا تمثال من الرخام يمثل سيدة رومانية عثر عليه فى بنغازى (الصورة رقم 1) ، ولهذا التمثال قصة سواء عند اكتشافه ، أم كيفية وصوله إلى فرنسا يجدر التطرق إليها .

بدأت قصة اكتشاف التمثال عند بناء منزل عائلة القاضى فى أواخر القرن السابع عشر ، وتحديداً مابين عامى 1693 ، 1694 ف ، حيث عثر على هذا التمثال أثناء حفر أساس ذلك المنزل ، ويبدو أن موقع منزل القاضى هذا كان يقع قرب سيدى خريبيش أى ضمن مخطط مدينة بيرنيكى (بنغازى القديمة فى العصرين الهللنيستى والرومانى) ، وربما كان موقع ذلك المنزل يشغل قديماً بقايا منزل رومانى ، أو بناء مهماً من بقايا بيرنيكى الرومانية .

ويبدو أنه عند اكتشافه قد لفت إليه الأنظار بهيأته الرائعة واكتماله ، يبلغ الارتفاع الكلى لهذا التمثال مابين 1.85 : 1.90 متر ، وعرضه 53 سم ، ارتفاع الرأس 19 سم ، وهو يمثل سيدة رومانية متدثر بعبأتها بنفس الأسلوب الذى يظهر على التماثيل النسائية



صورة رقم (1)

التى تنسب إلى طراز هيراكيلانيوم الكبير (Hercu-laneum Large) و (Grosse Herculanerin) الذى يرجع فى أصوله إلى أواخر القرن الرابع ق . م . (حوالى 300 ق . م) ، وتغطى العباءة الجزء الخلفى من رأسها ، كما أنها تدثر بالعباءة بالكامل حتى تصل إلى أسفل الركبتين ويتجمع طرفا العباءة عند الجانب الأيمن من البدن وتنسدل إلى الأسفل ، حيث تمسك بها بيدها اليسرى فلا يظهر منها إلا الأصابع ، وتضع اليد اليمنى على الصدر وكأنها تمسك بالعباءة عند صدرها خشية أن تسقط ، وترتدى تحت العباءة ثوباً تكثر به الثنايا الرأسية من الأسفل التى تتميز عن ثنايا العباءة الأفقية والخفيفة فى آن واحد ، وقد صورت السيدة وهى واقفة مستندة على رجلها اليمنى مع تقدم الرجل اليسرى للأمام وذلك لحفظ التوازن ، ويميل الرأس نحو اليسار قليلاً مع وجود انحناءة خفيفة إلى الأمام ، وهناك توازن فى نحت ملامح الوجه الذى تظهر به مسحة من الجمال ، وقد تركت العينان دون أية إشارة للحدقة أو للبؤبؤ ، أما الحاجبان فقد نقشت نقشاً خفيفاً ، وكان يوجد طلاء أحمر على الخدين ، وأبرز مايميز هذا التمثال طريقة تصفيف الشعر الذى يظهر مقسوماً من المنتصف ومفروداً على الجانبين فى شكل تموجات كثيرة ومنتظمة ، وقد ضم بقية الشعر فى قمة الرأس على شكل صفين من الضفائر أو الطيات (الصورة رقم 2) .

ويعد طراز هذا التمثال تقليداً لتماثيل ديميتر فى العصر الهللينستى التى انتشرت فى القرن الثالث ق . م . تلك التماثيل التى أصبحت انموذجاً شائع للتماثيل الشخصية منذ القرن الأول ق . م . حتى أواخر العصر الرومانى . وينسب فى نفس الوقت إلى طراز هيراكلايون الكبير خاصة فى طريقة ارتداء اللباس ، والطراز الأخير من أكثر طرز التماثيل الإغريقية انتشاراً وشيوعاً فى التماثيل الشخصية الرومانية ، بيد أنه لم يكن شائعاً بكثرة فى قورينائية كسائر المناطق الأخرى فقد عثر على أربعة تماثيل فقط منها إثنان من قوريني (إحداها معروض فى اللوفر) ، وآخر من (طلميثة) إضافة إلى تمثال بنغازى . وعلى الرغم مما سبق ذكره فإنه لايمكن



نسبة هذا التمثال إلى المؤلهة ديميتر أو ابنتها بيرسفونى ، حيث يبدو أن التمثال يمثل سيد رومانية كانت تعيش فى بيرنيكى ، وأن هذا التمثال نحت على شرفها ، وهو فى حالته هذه يطابق تمثال كلاوديا إيبومانى (Claudia Eupomane) الذى عثر عليه فى (طلميثة) أو بقية تماثيل قورينائية من نفس الطراز ، واللافت للانتباه أن تمثال طلميثة مطابق تماماً من حيث الشكل لتمثال بنغازى ويبدو أنهما من عمل نفس النحات .

ومن خلال تصفيفة الشعر ومقارنة مع تماثيل أخرى فى (قورينائية) استطاعت روزنباوم ترافير سارى تأريخ التمثال بأوائل العصر الأنطونينى أى زمن حكم الامبراطور الرومانى انطونيوس بيوس (138 : 161 ف) ، وهو نفس تاريخ تمثال (طليمثة) . عموماً يعد هذا التمثال من أفضل التماثيل الرومانية التى عثر عليها فى (قورينائية) بسبب الحالة الجيدة التى كان عليها عند اكتشافه ، كما أنه من أفضل تماثيل طراز هيراكلايون فى (قورينائية) .

وقد أحدث هذا التمثال ضجة داخل مدينة بنغازى الصغيرة آنذاك بعد العثور عليه ، واختلفت الآراء حوله لأن الناس البسطاء فى بنغازى لم يكونوا معتادين على رؤية مثل هذه الأشياء فى المدينة ، وربما وصل خبر اكتشاف التمثال إلى طرابلس عن طريق حاكم المدينة التركى محمد بن محمود الذى كان تابعاً لباشا طرابلس ، هذه المدينة التى كانت فى ذلك الوقت وقبله بسنوات فى صراع مع فرنسا التى قصفتها بالمدفعية فى عام 1692 ، وقد توصل حاكم معقل فرنسا المدعو دينس دوزو (DENIS DUSAULT) إلى صلح بين البلدين ، ولكى يتقرب حاكم طرابلس محمد الإمام داى (شائب العين) إلى فرنسا فإنه وافق على اتفاقية الصلح التى وقعت بتاريخ 1692/5/27 ف ونصت مادتها الخامسة على السماح للفرنسيين أن ينقلوا أعمدة أثرية من مدينة لبدة الأثرية إلى بلادهم ، ولكن ماعلاقة هذا بتمثال بنغازى ، العلاقة وطيدة فيبدو أنه عن طريق تلك الاتفاقية استطاع دوزو قنصل فرنسا المؤقت فى طرابلس ان يرسل التمثال الذى ربما أرسله حاكم بنغازى محمد بن محمود تقرباً إلى ولى نعمته محمد الإمام داى فى طرابلس الذى قدمه بدوره إلى دوزو لكى يهديه إلى الملك لويس الرابع عشر بمناسبة توقيع الاتفاقية ، أو أن الأمر خلاف ذلك حيث أن دوزو قد تحصل عليه بالشراء وأرسله إلى فرنسا ، وأية ما كان الأمر فالتمثال وصل إلى فرنسا عام 1695 ، وأصبح بحوزة الملك لويس الرابع عشر الذى كان مولعاً بجمع الآثار لتزيين قصوره ، وبالفعل بعد وصول تمثال بنغازى إلى فرنسا وضع فى مكان بارز من الرواق الكبير فى قصر ڤرساى (VERSAILLES) ، واستمر فى ذلك المكان حوالى قرن من الزمن ثم نقل التمثال فى عام 1798 ف ، ليعرض فى متحف اللوفر تحت رقم 1130 ، ومازال معروضاً فى ذلك المتحف حتى الآن .

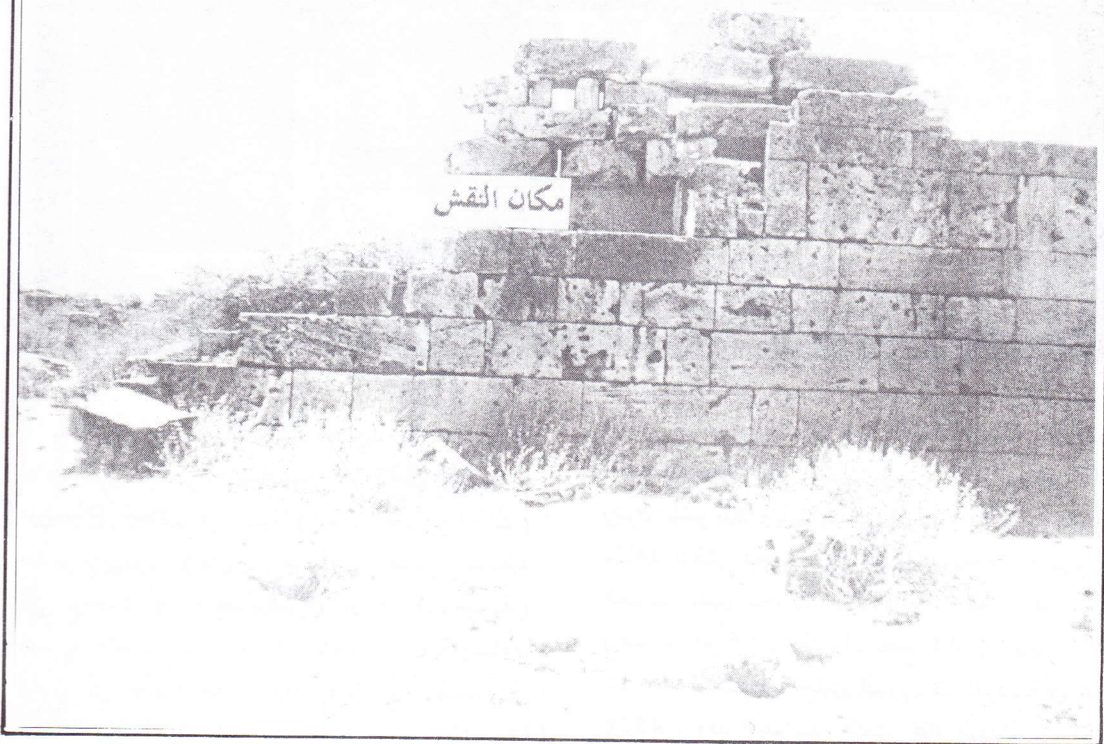
هذه قصة تمثال عرفته أوروبا من ليبيا ثم استمر بعد ذلك وصول الكثير من التماثيل التى سرقت من المدن الأثرية الليبية مثلما سيرد إيضاحه وبيانه مفصلاً ومدعماً بالصور فى حلقات قادمة .

قصة نقش من بطوليمايس (طلميثة) فى متحف اللوفر :



يعد مرسوم الشؤون الليبية (D e Rebus Libycis) للامبراطور البيزنطي اناستاسيوس (491 : 518 ف) الموجه إلى حاكم قورينائية (المدن الخمس آنذاك) المدعو دانييلوس (دانيال) من أهم النقوش البيزنطية التي وجدت في (بطوليمايس) أو في (قورينائية) بصورة عامة ، ذلك أنه يهتم بتنظيم الإدارة وشؤون الجيش في هذه المنطقة . وقد نقش هذا المرسوم في طلميثة على ثلاث كتل من الحجر الرملي (ابعادها 152 طولاً × 121سم ارتفاعاً) كانت مثبتة على واجهة الحصن - في الناحية الشمالية - الذي يمثل المركز الإداري للدوق (انظر الشكل المرفق) ، ويعرض هذا النقش في متحف اللوفر (صورة رقم 3) ، يوليس من السهل تحديد موقع النقش من تلك الواجهة ، ولكن بعد زيارة الموقع امكن التوصل إلى أنه كان قرب الزاوية الغربية من الواجهة الشمالية أو الشمالية الغربية تحديداً ، وأنه كان غير مرتفع كثيراً عن مستوى سطح الأرض وهذا أمر طبيعي حتى يمكن قراءة النقش ذي الحروف الصغيرة ، وقد استدل على مكان النقش بالجزء المدمر من الواجهة التي تتناسب أحجاره المنزوعة مع أحجار النقش (صورة رقم 4) .

أما كيف وصل هذا النقش إلى فرنسا فلهذا قصة وهي على النحو الآتي :
يبدو أنه عند زيارة الرحالة ديلا شيلا (1817 ف) لآثار (طلميثة) لم يشاهد هذا النقش ، على الرغم من أنه كان في مكان واضح من الحصن ، وكان الأمر خلاف ذلك عند زيارة الأخوين بيتشي (1822 ف) اللذين شاهدا النقش ، ووصفا مكانه بدقة ، وحددا أبعاد الأحجار التي نقش عليها ، أما الرحالة جان ريمون باشو عند زيارته لنفس الموقع (1825) فإنه لم يشاهد النقش فحسب بل قام باستنساخه ، ونشره في الكتاب الذي يتحدث عن وقائع رحلته في قورينائية (صوره رقم 5) ، وقبل أن يطبع كتابه في عام 1827 نشر هذا النقش في احدى الدوريات الفرنسية في عام 1826 ، وقد اهتم بهذا النقش عالم النقوش الفرنسي السيد م . لترون (M.Letronn) الذي نسبه الى الامبراطور اناستاسيوس وعلق عليه باختصار في الملحق الخاص بالنقوش التي استنسخها باشو من الاقليم في رحلته ووضع في نهاية كتابه السالف الذكر ، ولقد ادرك السيد لترون اهمية هذا النقش الذي لم يستطع ان يقرأه بشكل جيد من خلال استنساخ باشو له ، لذا يبدو أنه ارسل إلى صديقه فاتيه دي بورفييل الذي كان يشغل منصب نائب القنصل الفرنسي في بنغازي وطلب منه ان يعيد استنساخ النقش ويرسله اليه في فرنسا . وكان هذا الاخير قد بدأ في التجول في المناطق الأثرية (القورينائية) من أجل الحصول على اللقى الاثرية لإرسالها الى فرنسا كي تعرض في متاحفها ، ومن خلال الرسائل التي كان يرسلها دي بورفيل الى المهتمين بالاثار في فرنسا يتضح انه لم يكن مهتما باثار طلميثه ولم يجر بها أي حفريات ، الا انه زارها في اواخر عام 1847ف لكي يستنسخ نقش الامبراطور اناستاسيوس مسترشداً بكتاب الرحالة باشو لمعرفة مكانه ، وبسبب طول النقش فقد صعب عليه استنساخه ، لكنه استطاع ان ينتزع تلك الاحجار



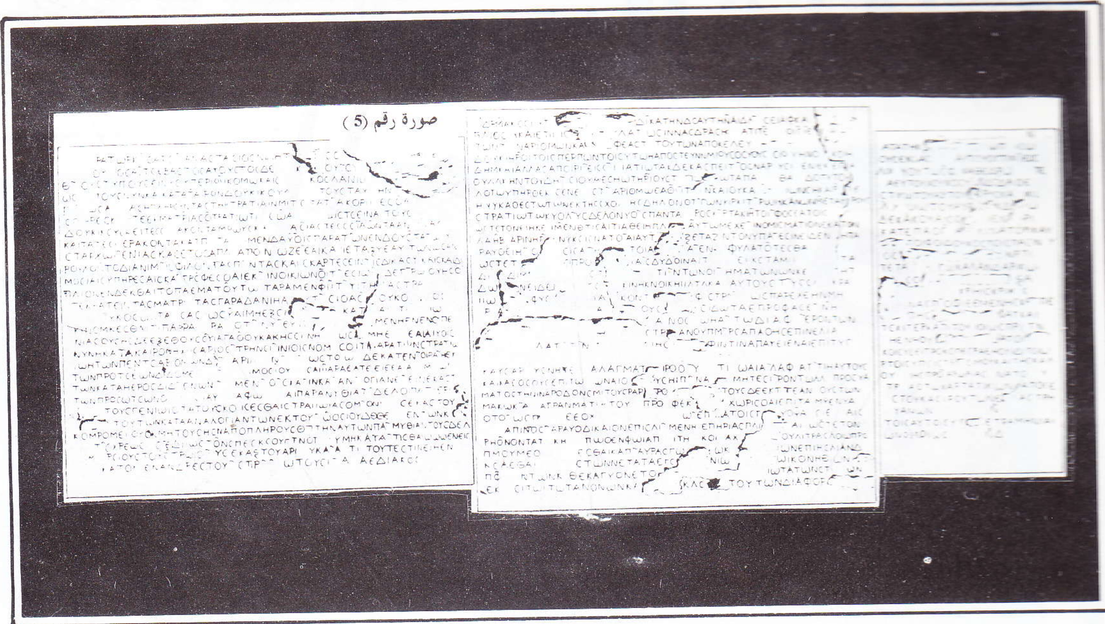
صورة رقم (4)

المنقوشه من مكانها الاصلى مما أدى إلى تهشم أحد الأحجار فتركه ملقى هناك وعاد بالحجرين الاخرين الى بنغازى ، ويظهر انه بعد ارسالها الى فرنسا ، طلب منه ان يعود ببقية النقش (أى الجزء المهشم) الذى تركه فى طلميثه لصعوبة قراءة النقش هكذا ، ويذكر الرحالة جيمس هاميلتون الذى زار الموقع فى عام 1852 ف انه سمع بقصة هذا النقش ، وانه ترك لفترة سنتين او ثلاث قبل ان يعود دى بورفيل لنقل بقية النقش ، عموما يبدو ان النقش قد وصل مكتملا الى متحف اللوفر بباريس فى عام 1851 ف ومازال معروضا فى ذلك المتحف .

ومما زاد فى اهمية ذلك النقش العثور على نسختين منه فى الإقليم ، لكنها تعد ناقصة مقارنة بنقش اللوفر ، مما دعا الى الاعتماد على النقش الاخير عند قراءة النسختين الأخريين ، فقد عثر على نسخة من المرسوم فى (توكرة) عام 1927ف وجدت (SEG.XXXIX,1724, SEG.IX414) منقوشة على كتلة حجرية من الحجر الرملى ، وتمثل الجزء المنقوش من المرسوم الفقرات من الفقرة الحادية عشرة إلى نهاية المرسوم . اما النسخة الثانية فقد عثر عليها فى سوسة اثناء حفريات البعثه الفرنسية برئاسة الاستاذ بيير مونتيه عام 1954 ف وتمثلت فى ثمان كسر من الرخام الخشن نقش عليها اجزاء من فقرات المرسوم من الفقرة الاولى الى الفقرة الحادية عشر SEG.XXVII,1139 ، ويبدو ان نقش (سوسة) هو النسخة الاصلية من المرسوم لانه نفذ على الرخام ، ونقشا (طلميثة) و (توكره) نفذتا على مادة اقل اهمية هى الحجر الرملى .

يبدأ النقش بالافتتاحية الآتيه " اصدر الامبراطور قيصر فلافيوس اناستاسيوس المنتصر ، التقى ، السعيد ، قاهر الاعداء ، المهيب ، الجليل ، القوانين المقدسة الجديدة عن طريق الدوق المرموس دانييلوس " .

ثم يورد النقش الاوامر الصادرة من الامبراطور إلى القائد العسكرى العام (الدوق) بشأن تعليماته للجنود والتنظيم العسكرى للاقليم وقسمت تلك التعليمات إلى



صورة رقم (5)

أربع عشرة فقرة ، تهتم الاولى منها بالمخصصات العسكرية للقادة ، والثانية تحدد عدد القادة العسكريين ، وبعض الوظائف الادارية والقضائية الاخرى ، وتحدد الفقرة الثالثة مسؤولية الاشراف على السجلات العامة وكلف بها القائد العسكرى العام ، وهناك اوامر للقادة العسكريين فى الفقرة الرابعة بعدم أخذ أية أموال من الجنود ، كما منعت الفقرة الخامسة المحاسبين من أخذ أموال أو ضرائب من الجنود ، واشارت الفقرة السادسة الى تقديم حوافز للجنود من مخصصات الدولة ، وحددت الفقرة السابعة نسبة ذ س الجنود المرضى والعاجزين فى كل وحدة ، وتذكر الفقرة الثامنة ان من مهام القائد العام اختيار بعض الجنود بالقرعة لبعض الاعمال المهمة ، وتنص الفقرة التاسعة على بعض العقوبات الخاصة برجال القائد ، اما الفقرة العاشرة فتوضح ان من مهام القائد توزيع المساكن بالعدل بين الجنود دون مقابل ، كما توضح الفقرة الحادية عشرة مهام جنود أو حراس الحدود وبعض الاوامر بشأن افراد القبائل الليبية ، وتحدد الفقرة الثانية عشر سلوك القائد نحو الجنود البواسل ، وتنص الفقرة الثالثة عشر على ضريبة من اجل العناية بالحدود ، وتحدد الفقرة الرابعة عشرة مخصصات بعض العاملين فى الدولة والتابعين للقائد .

ويفهم من فقرات المرسوم حقوق وواجبات الجنود البيزنطيين الخاضعين لسلطة الدوق فى الاقليم ، ويمكن ان يستنتج من خلاله الوضع العسكرى القائم فى الإقليم وعلاقته بالقبائل الليبية ، إضافة إلى الحدود وكيفية حمايتها .

أما عن تاريخ هذا النقش او المرسوم فمن المؤكد نسبته الى عهد الامبراطور البيزنطى اناستاسيوس (491 ـ 518) ، ولكن يصعب تحديد تاريخ بعينه خلال حكم هذا الامبراطور ، ويمكن من خلال اشكال حروف النقش ان يؤرخ بالقرن السادس ، كما ان تاريخ النقش بعام 501 الذى ظهر فى ملحق النقوش الاغريقية التاسع (SEG. IX 356) لا يعتد به وتم تنفيذه ، ويؤرخ اوليفريو النقش ما بين 500 ـ 505 وبصورة عامة يؤرخ هذا النقش خلال السنوات العشر الأخيرة من حكم اناستاسيوس ، وهى ، الفترة التى اهتم فيها هذا الامبراطور بالأقاليم التابعة له بعد أن تغلب على القلاقل السياسية التى شهدتها الفترة الأولى من توليه السلطة .